د. عبدالمنعم سعيد
يكتب:

الكتاب فيه «ذكريات» غنية عاشها الرجل، وأخذنا معه فى رحلة طويلة عبر مدن وبلدان مثيرة، ومناصب تعددت فيها الواجبات الأكثر إثارة، وفى كل الأحوال فإنه يحكى، والحكى فنون، عن أشخاص التقى بهم وعمل معهم.

الحكاء مصطفى الفقى

إذا أردت أن تقرأ كتابا ممتعا فى أيام رمضان فإنه كتاب د. مصطفى الفقى، الذى له عنوانان: «مذكرات مصطفى الفقى»، و«الرواية: رحلة الزمان والمكان». والحقيقة هى أن الكتاب ليس مذكرات تعكس دخائل وآراء الكاتب والمفكر، إزاء أحداث حياة عامرة بالدبلوماسية والسياسة، والتنقل بين دول غنية بالتفاصيل، وقام فيها بأدوار كبيرة؛ كما أنها ليست رواية توجد فيها عقدة كبيرة يقضى فيها المؤلف وقتا كبيرا حتى يفك أسرارها. «الرواية» كانت موجودة بالطبع، فقد كان هو الكاتب الذى صك تعبير «الدور المسحور» وأقنعنا فيها بأن جيلا كاملا قد ضاع نصيبه من سلطة الأدوار العليا. وفى الظن لمن يعرف صاحبنا وعميد خريجى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، أنه سوف يخرج علينا بهذه الكتب واحدا بعد الآخر بطريقته الخاصة فى الكتابة السلسة، عربيتها فصيحة دون تكلف، وإيقاعها مؤثر دون ضجيج. وفى هذه الكتب لن تنقصه «الحبكة» الدرامية التى تأتى من المشاركة فى أعمال ومواقف تاريخية، لا يغيب عنها الخروج من الدور المسحور لمناصب ذات مسؤوليات كبرى، ومعها كم كبير من الأوسمة والنياشين، سوف يقدره عليها المريدون، ويحسده عليها من ضل بهم الطريق داخل الدور المسحور.

الكتاب فيه «ذكريات» غنية عاشها الرجل، وأخذنا معه فى رحلة طويلة عبر مدن وبلدان مثيرة، ومناصب تعددت فيها الواجبات الأكثر إثارة، وفى كل الأحوال فإنه يحكى، والحكى فنون، عن أشخاص التقى بهم وعمل معهم، وفى اللقاء كانت هناك دائما قصة من نوع أو آخر. هو لا يقول لنا كثيرا عن العمل أو المهمات التى قام به فى لندن، أو نيودلهى، أو فيينا، من اتفاقيات أو تفاعلات سياسية، كانت فيها أزمات أو تطورات إيجابية أو سلبية؛ ولا عندما كان دبلوماسيا أو مسؤولا عن مكتب المعلومات فى رئاسة الجمهورية، أو عندما بات مساعدا لوزير الخارجية أو رئيسا للجنة العلاقات الخارجية فى مجلسى النواب والشورى، أو حتى عندما كان فى لجنة مصر والعالم المتفرعة عن لجنة السياسات، وحتى وصل إلى منصبه الحالى عميدا على مكتبة الإسكندرية التاريخية. ما يهمه فى ذكرياته كان دوما، إيجابا بغير نفاق وسلبا دون تجريح، الاقتراب من البشر، والإنسان وما يتذكره معهم،وينقلها إلى قارئ يبدو كما لو كان جالسا بجواره، ويعرفه معرفة حميمة. هو أكثر من ذلك يفرد فصلين كاملين لنقل «لقاءات برموز السلطة فى العالم العربى»، ويحكى «فى صحبة نجوم الفكر والأدب والفن».

د. مصطفى الفقى يسلم منذ البداية أن كتابه ليس صفحات مطوية من «مذكرات شخصية»، كما أنه يؤكد لنا أنها ليست «سيرة ذاتية»، هى رحلة بدت قصيرة للوهلة الأولى بين محافظة البحيرة، حيث كان الميلاد، والإسكندرية حيث بلغ سدرة المناصب؛ ولكنها فى الواقع كانت طويلة للغاية بين قارات عديدة، ومناصب عدة، وفيها كانت الحياة متأرجحة صعودا وهبوطا، وبعضا غير قليل من القسمة والنصيب.

د. مصطفى الفقى كان لديه من العلم والخبرة والموهبة ما يجعله يلخص موقفه من عهود مصر المعروفة، بأنه كان مراقبا فى عهد عبد الناصر، ومشاهدا فى عهد السادات، ومشاركا فى عصر مبارك. المراقبة والمشاهدة والمشاركة كانت تعبيرا عن أشكال للعلاقة مع السلطة المصرية، وبحكم الوصف فربما كانت هذه الأخيرة التى أعطته خبرة كبيرة بما احترفه كخريج فى العلوم السياسية، بحيث حصل على الزهو حيث تكون التجربة هى المرجعية وما يقاس عليها فى الأحكام، والمرارة التى أتت ساعة الخروج. هذه الساعة تحديدا كانت هى التى بدأت فيها التعرف الحقيقى على الرجل، فقد كنت أعرفه منذ دخولى إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، حيث كان له صيت غير قليل كطالب سبقنا بأربع سنوات، وعندما تخرج ودخل وزارة الخارجية ومن بعدها ذهب إلى لندن فى أول موقع دبلوماسى، كانت أخباره بالضرورة مما تعد فى صف خريجى الكلية المتميزين، وعندما وصل إلى رئاسة الجمهورية وفى المطبخ الرئاسى بات واحدا من «الساسة» الجديرين بالمتابعة. وانقلبت المتابعة إعجابا من الطريقة التى عالج بها خروجه من الديوان الرئاسى، فقد أصدر عددا من الكتب المتوالية التى عبرت عن عقلية راقية فى التحليل والإبداع الفكرى، ومن بعدها لم يتوقف عن الكتابة عن الأفراد والقضايا الكبرى. لم تقتله السياسة وإنما أعطته قدرات جديدة ظهرت فيما بعد، حينما تقاطعت الطرق بيننا فى لجنة مصر والعالم ولجنة التعديلات الدستورية بالحزب الوطنى الديمقراطى، والأحداث التى سبقت ثورة يناير وحتى تعيينه رئيسا لمكتبة الإسكندرية. تفاصيل كل ذلك من المرجح أن تأتى فى كتب قادمة غنية بالمواقف والأحداث (هناك كتابان بالفعل تحت الطبع: ٢٠٢٠ عام مختلف؛ ومنوعات فكرية، وكلاهما عن الهيئة العامة للكتاب).

الكتاب رحلة طويلة كانت فيها أصول عائلية تنتمى إلى ما سماه عالم السياسة «ليونارد بايندر» فى كتابه «فى لحظة الحماس» (١٩٧٩) الشريحة الثانية، والمقصود بها أولاد العمد والمشايخ والأعيان عامة الذين كونوا قلب النخبة السياسية المصرية منذ مطلع القرن العشرين، والتى تابع الرجل تشابكاتها من صفحة الوفيات بالأهرام. المتابع للمذكرات والذكريات التى صدرت خلال العامين الأخيرين سوف يجد أنه من حيث الأصول الاجتماعية والاقتصادية، لن يختلف كثيرا د. مصطفى الفقى عن السفير عمرو موسى عن الأستاذ محمد سلماوى، من حيث إدارة التعليم مع الطموح والإرادة إلى الأصول العائلية فى الدخول إلى النخبة السياسية، سواء كان ذلك فى العصر الملكى أو العصر الجمهورى. كانت البداية هذه المرة فى قرية «كوم النصر» بتفتيش المغازى باشا، عندما جاء صاحبنا إلى الحياة، ويكون حريصا بعدها بعقود أن يسجل أسماء هؤلاء الذين صاحبوه فى يوم الميلاد من الساسة. وظل هكذا الحال حتى وقت كتابة الذكريات مع كبار مثلهم، عندما جاءت تفاصيل اللقاء ومن بعده التحليل الذى ينقد بصدق، ولكنه لا يعدم التأكيد على صفات طيبة. لا يوجد لدى مؤلفنا مكان لجروح عميقة، فاهتمامه أن يختار ما يعكس أفكاره الأساسية التى منها كتب عن العروبة، ولم يكتب عن الغرب أو مثقفيه، واختار موقف عدم الذهاب إلى إسرائيل حتى ولو كان ذلك فى مهمة وطنية. وحتى ما بدا جروحا لديه فقد كانت نتيجة التباسات أظنها ذهبت من الذاكرة الجماعية، ولكنها لا تلبث أن تطل علينا فى كتاباته، وفيها كانت لحظة دخوله الانتخابات لمجلس النواب والخروج منها فائزا؛ والثانية جاءت مع الخروج من منصبه الرئاسى التى جاءت أيضا من التباس لم يكن له فيها يد. ومع ذلك فإن موقفه من الرئيس مبارك فيه الكثير من التقدير؛ ولكنه تقدير ليس فيه غفران.

الآن، فعلى القارئ بعد الاستمتاع بالكتاب أن ينتظر كتبا قادمة، ربما سوف يأتى فيها معلومات عن موضوعات هامة فى التاريخ المصرى، فقد كان صاحبنا دبلوماسيا فى لندن فى الوقت الذى وصل فيها السيد أشرف مروان، وجرت فيه حرب أكتوبر، كما أن كثيرا من الأسرار خافية عن فترة الرئيس مبارك وما تلاها من تطورات. د. مصطفى الفقى سوف يكون لديه دائما ما يمتعنا به.